

أسلوب مراعاة المخاطب وسلطة المتلقي في أدب التوحيدي (ت 420هـ)

مقران فصيح

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

مهمة كل متكلم صعبة لأنه في حيرة من أمره، بين العناية بمضمون الكلام وبين مراعاة المخاطب. وهو الأمر الذي نميل إليه في دراستنا لأسلوب التوحيدي في كتابه الموسوعي "البصائر والذخائر" باعتبار المخاطب وسلطة المتلقي؛ فالمتكلم عنده عليه أن يتحدث على قدر علمه وفهمه، ومراعاة أحوال سامعيه وقرائه، وأن يعدل بين كلامه وحال نفسه وأحوال المتلقين، وأن يكون الكلام على قدر الحاجة دون زيادة ونقصان.

الكلمات المفتاحية: التوحيدي، قراءة، أسلوبية، خطاب، مخاطب، سلطة المتلقي.

*L'estimation du lecteur et de l'instance émettrice dans
la littérature d'EL TAWHIDI (Mort en 420 de l'hégire)*

Résumé

Il s'avère que garantir la posture d'une instance émettrice est loin d'être facile. C'est à ces questions et à d'autres que cette contribution tenterait de répondre en partant de l'exemple d'«Al Bassaer wa El Dakhaeir» d'Abu Hayyan Tawhidi qui su comment établir un brillant consensus entre l'instance de l'auteur, l'instance de l'émetteur et celle du texte.

Mots-clés: EL Tawhidi, lecture, stylistique, discours, récepteur, instance émettrice.

*Esteem and authority of receiver in EL TAWHIDI literature
(Died in 420 hegira)*

Abstract

Its turns out that the guarantee of an issuing body posture is far from being easy. This contribution will attempt to answer these questions and others by taking as an example "El Albassaer wa Dakhareir" of Abu Hayyan Tawhidi who Knew how to build consensus among a brilliant instance of the author, the instance of the issuer and the text.

Key words: EL Tawhidi, reading, stylistic, discourse, receiver, authority of the receiver.

مقدمة

إنّما الأسلوب مراعاة المخاطب في تمثّل سلطة المتلقي، وما هو إلّا مراعاة عناصر المقام مجتمعة كما سيأتي في صلب القول. وأمّا الإشكالية الأساسية هنا فهي: من مخاطب أثناء الخطابة، ولمن نكتب حين الكتابة؟، وما حظ المخاطب السامع القارئ على السّواء من العناية احتراماً وتقديراً؟ وسنتوسل للإجابة على كل ذلك موسوعة "البصائر والذخائر" في تسعة أجزاء. كما نبحت في أسلوب التوحيد من خلال نصوصه عن صور المتلقي المهيم صريحاً أو ضمناً، ونبذل الجهد بالتحليل والمقارنة أحياناً، والوصف المعلن. ونشير للأمانة إلى أنّ مقالتنا ليست محتاجة إلى مكتبة الدراسة كما ونوعاً، لأنّها قراءة في نصوص مدونة نثرية واسعة ومحددة معلومة.

- أركان عملية الإبداع:

وما القصد هنا إلّا نوع الإبداع المتوسل باللغة فحسب، و"كل عملية إبداعية شفوية (خطابية) أو كتابية (خطية) ذات شكل لغوي حسيّ (مادي) ومحتوى معنوي فكري (أي ذهني عقلي) (الصوري)، وهو ما اصطلح عليه "جون سيرل" المضمون اللغوي / والمضمون التمثيلي (القضية)"⁽¹⁾.

1- بناء العمل الإبداعي الأدبي:

يبني كل عمل إبداعي أدبي على أركانه الثلاثة التي هي بمثابة السلطات:

1- السامع / القارئ.

2- المتكلم / الكاتب.

3- الخطاب / النص.

ويلاحظ أنّ الركن الأول هو السّامع القارئ؛ لأنّه أسبق في الوجود من المتكلم الكاتب المبدع، والمبدع أسبق وجوداً من خطابه / أو نصه لا ريب حين يتوسل بالكتابة.

تلك الأركان - في واقع الحال - سلطات متداخلة متفاوتة القوة والضعف، والتقديم والتأخير والحضور والغياب، وقلما تتحقق "التعادلية" فيما بينها، حيث يطغى ركن على ركنين، كما يطغى الركنان على ركن فيختل الميزان.

لا فضل بين هذه السلطات (بفعل فاعل) والأصل لا سلطان لركن على آخر:

1- سلطة السامع/ القارئ.

2- سلطة المتكلم/ الكاتب.

3- سلطة الخطاب/ النص.

ليس لركن -كما ألمحنا- على آخر من سلطان في الأصل، لكن عناصر (السياق) المقام العام المحيط بالإبداع ومنتجه، ومتلقيه تتضافر لتمنح السلطة لركن من الأركان على غيره، وقد تساهم في الخروج به من السلطة الطبيعية إلى التسلط: ونعني بذلك تكلف السلطة في ركن وهي ليست له⁽²⁾.

2- مراعاة المخاطب من أصول بلاغة الكلام العربي:

مهمة المتكلم - كائناً من كان - صعبة عسيرة لأنّه في حيرة من أمره، بين العناية بمضمون الكلام وبين مراعاة المخاطب! فهو إن أولى كلامه الاهتمام فاته تحقيق الغاية التي انتصب لأجلها متكلماً مخاطباً، وهي الإفهام

والإمتاع والتأثير في نفس المخاطب، وإن هو أولى العناية بالسّامع (المخاطب) وحده دون أدنى اعتبار للكلام فاته حظ كمال الكلام وهو بلاغته وإن تيسر له تحقيق صوابه وسلامته!

أ- مراعاة المخاطب ومقتضى الحال:

"مقتضى الحال" معتبر في الخطاب الأدبي العربي ويرادف "المقام"، لكن لفظ "الحال" عام غير مخصص: فهي هو كان الكلام، أم حال المخاطب (السامع)، أم حال المتكلم (منشئ الكلام) ... أم هو كل ذلك مجتمعا، وهو الأمر الذي نميل إليه كما يأتي (على المتكلم):

- على المتكلم أن يتكلم على قدر علمه وفهمه (فراعي حالة).
- وعليه مراعاة أحوال سامعيه / أي: يتكلم على أقدار بمقول سامعيه.
- وعليه كذلك أن يعادل بين كلامه وحال نفسه وأحوال سامعيه.

ب- مراعاة المخاطب مقدمة على مراعاة الكلام وصاحبه:

البلاغة عند أهل البلاغة قديما: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" والقصد من لفظ "الحال" -دون تخصيص- تحصيل حاصل: هو حال المخاطب دون سواه من عناصر المقام التخاطبي، ولا رعاية للمتكلم، والنتيجة:

- حال المخاطب يقتضي كلاما مخصوصا (نوعا من الكلام).
- شرط بلاغة الكلام أن يطابق حال السامع.
- سلطة السامع على المتكلم والكلام أقوى.
- للسامع على المتكلم حق ولا حق للمتكلم على السامع.
- على السامع الفهم ولكن سوء فهمه سبب سوء الإفهام من المتكلم.
- الشواهد على سلطة المخاطب (المتلقي) على الخطيب في الخطابات اللغوية العربية كثيرة (تدل على شدة ذوق الخطيب من المخاطب).
- أن يكون الكلام على قدر الحاجة دون زيادة أو نقصان (حاجة السامع طبعا).

ج- دلائل مراعاة المخاطب في التراث العربي:

كثيرة تجلّ عن الإحصاء وهي محتاجة إلى بحوث ودراسات لاحقة، لكننا نوجز منها :

1- في النقد (في نظرية البيان العربية):

أ- النص عند الجاحظ (255هـ):

وهو صاحب النظرية البيانية العربية القائل «... فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي وكلام الناس في طبقات»⁽³⁾.

يشير الجاحظ بدقة ووضوح إلى الآتي بإيجاز: الكلام طبقات والمتكلمون طبقات كذلك، والمخاطبون طبقات أيضا، والواجب على المتكلمين في محاوراتهم ومخاطباتهم ومحاضراتهم بلوغ الغاية في الفهم والإفهام لأن مدار الأمر كله في البيان العربي والتبيين). (البيان، ط 2010م، ج 1، ص: 80، 109).

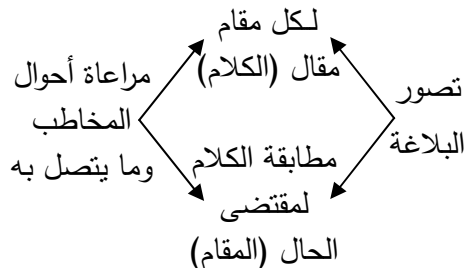
- التناسب بين طبقات المتكلمين وطبقات كلامهم.
- التناسب بين طبقات الكلام وطبقات المخاطبين.

ب- النص عند ابن طباطبا (ت 322هـ):

وهو صاحب نظرية شعرية عربية القائل: "الناقد يلزم الشاعر بتخيير اللفظ المأنوس المستحب والكناية عن الوحشي منه عند المستكره مراعاة لذوق السامع ونفسه، وقدر عقله... وعلى العموم يجب على الشاعر أن يخاطب السامع بما يحب ويرضى، خاصة السامع الممدوح.

النص: « فليجتنب الشاعر هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله، وإذا أمر له معنى يستبشع اللفظ به يطف في الكناية عنه وأجل المخاطب المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إن لم ينكر الشعر، أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذمناه...»⁽⁴⁾.

ج- مراعاة المخاطب في مقولتين أساسيتين في مفهوم البلاغة:



فالمقام مقتضى الحال، والمقال هو الكلام، ومقتضى الحال هو حال المخاطب أساسا، وما يتصل به كأحوال الكلام والمتكلم، وأسباب القول وغاياته، وحال المخاطب تقتضي نوع الأسلوب الخبري في الكلام من المتكلم كما يأتي:

د- مراعاة المخاطب في علم نحو المعاني: (ثمرة لقاء البلاغة والنحو):

- تقسم الخبر باعتبار أحوال المخاطب: (خالي الذهن، وحائر متردد، ومنكر جاحد):

والشاهد نص السكاكي: « من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان هو أن يفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشيا عن وصمة اللاغية (اللغو)، فإذا اندفع في الكلام مخبرا لزم أن يكون فقد في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك إفادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار، فإذا ألقى الجملة الخبرية وينتقش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتا أو انتفاء كفى ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خاليا ... فتستغني الجملة عن مؤكّدات الحكم وسمي هذا النوع من الخبر ابتدائيا، وإذا ألقاها إلى طالب لها متحير طرفاها عنده دون الاستناد فهو بين بين لينقذه من ورطة الحيرة استحسّن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة كنحو: لزيد عارف أو إن زيدا عارفا، وسمي هذا النوع من الخبر طلبيا، وإن ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه ليرده إلى حكم نفسه استوجب حكمه ليترجح تأكيدا الجسد ما أشرب المخالف الإنكار في اعتقاده كنحو إني صادق لمن ينكر صدقك إنكارا وإني لصديق لمن يبالغ في إنكار صدقك و والله إني صادق على هذا »⁽⁵⁾.

هـ - مراعاة المخاطب في فائدة الخبر:

لأنها لا تكون في لزوم الفائدة" (أي الإفصاح والإظهار والإفهام)، وما حال المتكلم مع المخاطب إلا كحال الطبيب مع المريض، كما في قول: أحمد السيد الهاشمي في كتابه: "جواهر البلاغة": «... يجب أن يكون المتكلم مع المخاطب كالطبيب مع المريض يشخص حالته، ويعطيه ما يناسبها فحق الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدا عنها، لئلا يكون عبثا، ولا ناقصا عنها، لئلا يخل بالعرض وهو الإفصاح والبيان...»⁽⁶⁾.

- البلاغة بلاغات في مراعاة المخاطب بحسب اللغات:

«البلاغة قد تختلف في اللغات على قدر ما يستحسن أهل كل لغة من مواقع ألفاظها على المعاني التي تتفق في كل لغة، وقد تكون معدودة في البلاغة ألفاظ مستغربة فإذا كثر استعمالهم لها لم تعد في البلاغة ولا استحسنت»⁽⁷⁾.

- البلاغة مراعاة المخاطب باعتبار فهم العامي والخاصي:

«البلاغة: ما فهمه العامي كفهّم الخاصي، وكان بلفظ ينتبه له العامي لأنه لا عهد له بمثله، وينتبه له الخاصي لأنه لا عهد له بمثل نظمه ومعناه، واستوعب المراد كله، ولم يزد فيه ما ليس منه، ولا حذف مما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً، وقرب على المخاطب به فهمه، ولوضوحه وتقريبه ما بعد، وكثر من المعاني، وسهل عليه حفظه لفقره وسهولة ألفاظه...»⁽⁸⁾.

- ملاك البلاغة مراعاة أحوال المخاطب:

«وملاك ذلك الاختصار لمن يفهم والشرح لمن لا يفهم، وترك التكرار لمن قبل ولم يغفل، وإتيان التكرار لمن لم يقبل أو غفل...»⁽⁹⁾.

النتيجة كما يأتي:

- 1- المخاطب الفاهم: يقتضي من المنشئ الاختصار.
- 2- المخاطب غير الفاهم: يقتضي من المنشئ الشرح.
- 3- المخاطب المتقبل الفطن يقتضي: من المنشئ ترك التكرار.
- 4- المخاطب الغافل المنكر يقتضي: من المنشئ التكرار.

انقسام البلاغة على طبقات الناس:

الكاتب البليغ من يقول ما عند الناس وليس ما عند نفسه، ولذلك فالبلاغة منقسمة باعتبار طبقات الناس كما يأتي:

القسم الأول: يميل إلى الألفاظ المعهودة عند العامة.

القسم الثاني: يميل إلى الألفاظ غير المعهودة عند العامة (نموذج الحسن البصري وسهل بن هارون).

القسم الثالث: ناتج عنهما لأخذه منهما، يجمع ما عند العامة وما عند الخاصة (نموذج ابن المقفع).

وأما بلاغة الناس من خلال آراء الكتاب الأدباء فهي تحت هذه الطرائق والشاهد نص ابن حزم:

« وهذا الذي ذكرنا ينقسم قسمين: أحدهما مائل إلى الألفاظ المعهودة عند العامة كبلاغة عمرو بن بحر الحافظ، وقسم مائل إلى الألفاظ غير المعهودة عند العامة، كبلاغة الحسن البصري، وسهل بن هارون، ثم يحدث بينهما قسم ثالث أخذ من كلا الوجهين كبلاغة صاحب ترجمة "كليلة ودمنة" ابن المقفع ... ثم بلاغة الناس تحت هذه الطرائق »⁽¹⁰⁾.

تصور العنوان:

- الاعتذار والاستعفاء: (مثال/ البصائر والذخائر مج 5/ ج9، ص 6).

- الاستشارة: (مثال/ البصائر والذخائر، مج 5/ ج9، ص 6).

- إزالة الإلباس: (رفع اللبس ودفع الوهم وإجلاء الغموض).

- اختلاف الرأي: لا يفسد للود قضية: (رفع اللبس ودفع الوهم وإجلاء الغموض).
- أسلوب الترغيب غير المباشر: لترويج بضاعته العلمية (المعرفية) بإعلاء مرتبة العلم وتركيزه أهل العلم/ (رفع اللبس ودفع الوهم وإجلاء الغموض).
- كثرة الدعاء للمخاطب: بالحفظ والسلامة والعافية وطول العمر والتأييد.
- النصيح والإرشاد: من أساليب مراعاة المخاطب (البصائر: مج/ ج 9 ص: 7).
- حسن الافتتاح/ بترتيب مختار الكلام (في أول كل جزء وكل كتاب من مؤلفاته).
- 1- قول الرسول.
- 2- قول الصحابي/ قول التابعي
- 3- قول الحكيم. (م، ن، مج/ ج 9 ص: 10).
- 4- قول الشاعر الفحل (م ن ن، مج/ ج 9 ص: 11).
- تخصيص العام وتفصيل الجمل/ من أهم أساليب إزالة الإلباس وإجلاء الغموض
- مراعاة لحال المخاطب في أدبه. (م، ن، مج 1/ ج 1 ص 1، 2، 3).
- ترتيب المعارف منقولها ومعقولها على (حسب) قدر مدارك المخاطبين (على حد عقولهم).
- الشاهد: (مج 1، ج 1، ص 5، 6، 7):
- 1- القرآن ————— أعلى وأجل.
- 2- السنة ————— السبيل الواضح.
- 3- حجة العقل ————— الوصلة الرابطة بين الله والإنسان
- 4- رأي العين ————— نتائج التجارب
- وما سوى المراتب الأربعة المذكورة فإن التوحيدي يزينها بالحكم أينما وجدت؛ لأن الحكم ضالة المؤمن وهي حق والحق لا ينسب إلى شيء أو أحد (مج 1، ج 1، ص 6، 7).
- كثرة الاعتراض بالجملة الفعلية لغرض الوصف الموجود في كل مؤلفاته.
- التأدب والتواضع، وإظهار الزهد أو التزهّد، وإن لم يكن بزاهد على وجه الحقيقة، والتلطف بين يدي القارئ
- المخاطب المباشر وغير المباشر، مثال: (مج 1، ج 1، ص 8، 9، 10).
- من الشواهد على حسن الافتتاح: مج 1، ج 1، ص 11، 12، 13.
- 1- قول الرسول (ص)
- 2- قول التابعي الحسن البصري (ت 110 هـ) (ص 12)
- 3- المحدث المجتهد سفيان الثوري الكوفي (ت 161) (ص 12)
- 4- قول العالم اللّغوي : (مثال الرقاشي عن الأصمعي عن العرب/ ص 13).
- تفصيل عبارة العنوان الهادي إلى مضامين بترتيب ألفاظها: والشاهد: مج 1، ج 2، ص 5.
- النص: « وبعد هذا الجزء الثاني من بصائر القدماء (البصائر).
- وسرائر الحكماء (السرائر) ونوادر الأدباء (النوادر) وخواطر البلغاء (الخواطر) وهذا ترتيب الألفاظ:

- 1- البصائر.
- 2- السرائر (أو الذخائر) عند جلّ المحققين.
- 3- النوادر.
- 4- الخواطر.
- التماس حسن النية وصدق الرغبة لدى المتلقي (المخاطب) والإرادة القوية. والشاهد في (مج 1، ج 2، ص:
 - 1- من ترتيب الكلام في (مج 1، ج 2/ ص 13، 14) مع التنويع.
 - 1- قول السلف الحكماء.
 - 2- قول الناسك.
 - 3- قول الأعرابي.
 - 4- قول الساسة.
- التقليل من الاستطراد التزاما بالمقاصد والمعاهد في مؤلفاته. والشاهد: مج 1، ج 2، ص 12. حفظ (الخطابات والمقاسات) قبل تدوينها.
 - والشاهد: (مج 1، ج 2، ص 12)
 الفواتح:
 - الدعاء والتضرع والابتهال: بطلب العون من الله مع التعظيم والتتزيه والتوحيد للذات والصفات الإلهية (مج 2/ ج 3 ص 5).
 - مخاطبة المؤلف له الكتاب مع تضمين الدعاء له بالحرس:

يخاطب صاحب الحظوة والامتياز في التأليف والإهداء في مطلع كل جزء.

النص: « هذا -حرسك الله- الجزء الثالث وقد سار إلى خزانة الجزء ان قبله ولا لا حسن موقعها وبهاؤهما في عينك، وتقريبك لهما بلسانك وإعجابك بهما باستحسانك، لكان نشاطي يقل وحدي يكل ويدي ترفض ارفضاضا، وبمني تنفض انفضاضا، ولكني أحمد الله الذي زينك بتعرف المعارف وجعل ظلك فيها الظل والوارف، حتى خف عليك الغرم الثقيل، وبذل المال الجزيل، وإكرام العلم وأهله..» (مج 2/ ج 1 ص 7).

وبفهم من النص في نظرنا:

 - 1- تأليف الكتاب بطلب من صاحب مال أو علم أو جاه وسلطان.
 - 2- وضع التوحيدي خطة التأليف مبنية على الأجزاء، والنية أن عنده يبلغ عشا! دون أن يحدد الحد الأقصى من الأجزاء بعد جزء، وإرسالها تباعا إلى خزانة صاحب الحق، والباذل المال الوفير.
 - 3- كان التوحيدي حريصا على الجودة والجدة، وفطنا إلى نفسية المتلقي سريعة التأثر والانفعال، يراعي الموقع الحسن والقبول والرضا من المتلقي.
 - 4- قصد التوحيدي بضاعة كتابه حسب الطلب كسب المال صراحة - وله أن يكسب بعلمه- وإن كان على البازل غرما ثقيلًا.
 - 5- جعل التوحيدي دوام التأليف واسترساله وتعاقبه مرهونا بالقبول والاستحسان وبذل المال من المتلقي الأول.

*مراعاة المخاطب: المتلقي الأول (مع تضمين الدعاء):

- **التنبيه:** « واعلم -لقيت المنى وجنيت الردى- أن قد أصبحنا في دار رابحها خاسر ونائلها قاصر» (مج 2/ ج3 ص 7).

- **النصح:** « فكن حرسك الله لنفسك نصيحا واستقبل توبة نصوحا، وازهد في دار سمها ناقع وطائرها واقع» (مج 2/ ج3 ص 8).

- **الانتفات:** العدول عن المخاطب إلى المتكلم، وحديث النفس تخفيفا عن المتلقي: «أما أنا فقد أيقنت أن بساط عمري مطوي وإني بعين الله مرعي، وعن صغيري وكبيرى مجزي...» ومن الخطاب إلى الغيبة أحيانا (مج 2/ ج3 ص 8).

- **الإشفاق:** يشفق المؤلف على المتلقي الأول - خاصة خوفا منه لا خوفا عليه - «هذا كله شفقة منى عليك واهتمام بمصلحتك، فإن أعجبك وراقك... فالزم هدي كل هاد، وتقبل مذهب كل ناصح...» (مج 2/ ج3 ص 8).

- **الاهتمام:** حصرا لهم - وهو لا بد منه لكل عاقل - في العلم والعمل وبذل الجهد في طلب الكمال مع الإخلاص والصدق وما في حكمهما: « وليكن همك مطويا على العلم والعمل والإخلاص والشكر والعفة والطهارة والصدق... واطلب الكمال جهدك في كل ما خفف الخير عليك » (مج 2/ ج3 ص 9).

- **التعريض:**

« هيهات! أين هذا الغني بنفسه الذي يرى حياته من مواهب الله النفسية، وزمانه من نعمه الكريم، فيدأب في كسب الكمال واستمداد الفضل وطلب العلم...» (مج 2/ ج3 ص 9).

- **الترغيب والترهيب:**

« وينبغي أن تعلم أن من أراد خطابة البلغاء على طريقة الأدباء، ومجاراة الحكماء على عادة الفضلاء، احتاج ضرورة إلى تقديم العناية بأصول هي الأساس، وحفظ فصول هي الأركان، ولن ينفعه تقديمها دون عرفانها...» (مج 2/ ج3 ص 9-10).

- **الدعاء** حسن الافتتاح ومسك الاختتام: « وهب الله لك منه الحظ الأجل (قصد العلم) وسلك بك في العمل به الطريق الأسهل...» (مج 2/ ج3 ص 12).

- وأول الكلام بعد مقدمة الجزء قول الرسول (ص): (مج 2/ ج3 ص 13).

- **الإشارة والتنبيه:** الإشارة إلى نهاية الجزء يمثل الإشارة إلى بدايته والتنبيه على الجزء الذي يتلوه على رسمه.

« هذا- أيدك الله- آخر الجزء الثالث وقد حوى من فقر البلغاء، ونوادر الأدباء، ومحاسن النساك والحكماء ما أسأل الله أن ينفعك به والرابع يتلوه على رسمه» (مج 2/ ج3 ص 186).

- **التماس** سعة البال للفهم والتفهم والبيان والتبيين (وذلك من صفات هي مزاياه).

« فوسع بالك للفهم والتفهم والبيان والتبيين، فإن مزيتك على جميع ما عداك إنما هي بهذه الموهبة الشريفة والنعم السابقة » (مج 2/ ج3 ص 186).

* **الإكثار** من الداء والسؤال والشكوى إلى الله (7 فقرات فاتحة الجزء 4) قبل الإشارة إلى الجزء (لازمة البدء في كل الأجزاء بعد البسملة):

الشواهد:

- « رب أعن بمنك
- اللهم عليك أتوكل ...
- أسألك اللهم كيذا رجوفا...
- أشكو إليك اللهم تلهفي...
- اللهم كما ابتليت...
- فعاف برحمتك...
- اللهم قدنا بأزمة التوحيد...
- اللهم فأعد نصارة دينك...
- "أسألك اللهم أن تحفني بإلهام... « (مج 2/ ج 4 ص 5، 6، 7).
- " الرقة واللين دفعا للثلب والعتب (ج 4).

« وإنما رقت هذه الرقة لأن هذا الجزء قد استهدفت فيه ثلب الثالب وعتب العاتب لما فيه من النواذر الملهية والألفاظ السخيفة والمعاني المهجورة وإن كان في أثناء ذلك وخلال من الحكم البالغة والحجج الدامغة... » (مج 2/ ج 4 ص 8).

- أسلوب الاحتجاج:

« ولئن كانت السيئات يحبطن الحسنات، وإن الحسنات يذهبن السيئات، فهذا عذري و هذاك عتبك ومتى تجاذبنا أهدابهما، وتنازعنا أسبابهما، كان لنا مقال ومجال، لتصرف التأويل بين دعواي وبينتك واعتراض الاحتمال عن شبهتي وحجتك... » (مج 2/ ج 4 ص 8).

- أسلوب التعليل:

« على أنني لو رأيت للبيان سوقا، وللعلم أهلا وللحكمة طلابا وللأدب محبين وللعمل مقبسين أنفت من هذا الاعتذار وانصرفت عن هذا التزوير » (مج 2/ ج 4 ص 8).

- الاستدلال / والجدال:

« لأنني ما جمعت لك في هذا الكتاب إلا ما اجتناه من عقله أكبر من عقلي واختياره أبلغ من اختياري، ونقد أحسن من نقدي، وذيله في التجارب أطول من ذيلي، وإنما لي ما تلقطته من أقوالهم بعد التحرير والنقير وبين التكرير والتفسير، ولم أنفرد فيه إلا برسالة أشرت بها على تقصيري... » (مج 2/ ج 4 ص 8).

- تسويغ التمديد/ التطويل:

« وإنما مددت جناح هذا الفصل لأنني سمعت بعض من السير له من العلم إلا الدعوى يقول: وما في جمع ملح الناس ونواذرهم من علامة الفضل ودلالة الأدب وصواب الاختيار حتى يقال: ما قصر أبو حيان في كتاب البصائر: نقد واختار، ونقل وامتار، واعترض وطالب ودعا ورقق، واعتذر وقرب واحتج وانتصر، ومن هذا الذي يعجز عن مثل هذا، بل من هذا الذي لا يزيد عليه ولا يأتي بخير منه؟ » (مج 2/ ج 4 ص 9).

- مخاطبة القارئ المنصف (له حق الطاعة على المؤلف):

عدل التوحيدي عن المتلقي الأول لكتابه إلى القارئ المطلق في الزمان والمكان، ويلتمس منه حسن الظن به

(ويكتابه) ويطلب منه الرضا والمحبة.

« وإذا كنت عندك أيها القارئ، والناظر المتعرف على ما يحسن بك فما أبالي أن يفوتني ما أحبه نفسي، لأن هواي يخدم هواك، وطاعتي تطلب رضاك ومن واصل حبيبه أين يجد العاذل فيه موقعا؟ » (مج 2/ ج 4 ص 9).

- القارئ الخصم العنيد:

«على أن الخصم متى كان الهوى مركبه، والعناد مطلبه فلن تفلح معه، ولو خرجت اليد بيضاء، وانقلبت العصا حية» (مج 2/ ج 4 ص 9) إشارة إلى القصص القرآني، والعناد في الخصومة.

-التحذير والتنبيه:

« فخذ أيها السامع حذرک واعلم أن ربك بالمرصاد، وأنت منه على ميعاد، واعلم أنه أخذه أليم شديد... لم أبدأ قبل كل دقيقة وجليلة بطيء الأمل وتقصيره... » (مج 2/ ج 4 ص 11).

- أما التنبيه فقوله :

« ... فانتبه لما أوعيتك وأوحيت إليك، واعلم أن الرابعة فيها تمام الوصية، الزم العلم على هدي الصالحين » (نفسه/ ص 12).

* المجلد 3 : ج 5، ج 6:

الجزء 5: (من أساليب الدعاء):

يتواضع أبو حيان كعادته في خطابه في مجمل مؤلفاته، فيتذلل أمام الله ويتوكل عليه ويتضرع إليه، ويتوسل به إليه، ويدعو بضمير الجمع (جعل عدونا، و اللهم أعدنا و اللهم إنا نتضاعل...)

يفعل ذلك في الجزء الخامس في الفقرات الثلاث الأولى.

- حضور المتلقي بعد الدعاء:

بعد الفراغ من الدعاء يحضر المتلقي بقوة في خطابه مقرونا بالإخبار عن الجزء عن الكتاب والإشارة إليه، حيث يلتفت إليه بكاف الخطاب وذاك ديدنه.

- «هذا الجزء الخامس من البصائر (اختزل العنوان هنا في لفظة مفردة).

- وهو صنف ما سلف منه ...»

- « فاجعله درسك ليلك ونهارك واجعله تلاوتك في شرك وجهارك واختلس حظك من المعارف فيه تتخلص من المناكر... » (مج 3/ ج 5 ص 6، 7)

- الاعتراف في النصيح والإرشاد (استعمال صيغ الأمر والنهي والترغيب والترهيب)

- الإكثار من الشواهد والأمثلة:

- الاستدلال والاحتجاج (في مسائل الاتفاق والاختلاف بينه وبين المتلقي القارئ).

- التوسل في كل ذلك بأشكال التعبير من الأجناس الأدبية على عهده (مثال (مج 3، ج 5، ص 8):

1- يضرب الأمثال والحكم.

2- يسرد الحكايات (يكتفي بأصل الحكاية ويترك السند).

3- ورواية الشعر (دون نية للقائل!)

- 4- يسوق النوادر والطرف -
- 5- (التعقيب بالوصف والتحليل أو التعليل والنقد)
- " وقف متعلم بباب عالم فقال ... "
- " نظر عالم إلى تلامذته فقال ... "
- " والقائل يقول (الوافر...) " (مج 3 / ج 5 ص 8).
- وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر في صفة الدنيا حين كتب إلى المعتصم... (ص 10)
- "ولو كان هذا الكلام لابن المبارك أو منصور بن عمار أو ابن السّمّاك لكان كبيرا" (ص 11).
- وهنا أسلوب المقابلة بين ما هو حسن (قول ابن طاهر: أقل زهدا).
- * وما هو أحسن قول أحد الثلاثة: وهم أكثر زهدا.
- خاتمة الجزء 5: تنبيه على الانتهاء وسؤال الله وحده.
- الانتفاع به والعمل ببعض ما فيه من الناس كافة (من المتلقي العام) ومن الخاطب بالكتاب خاصة كما يسأل الله له إتمام النعم عليه:
- "هذا آخر الجزء الخامس من البصائر"
- والله أسأل الانتفاع به والعمل ببعض ما فيه... "
- غير أن سؤال الانتفاع هنا يحتمل أن يكون للمؤلف مثلما يحتمل أن يكون للقارئ الضمني إلى أيّامنا.
- فللتوحيدي - رحمه الله - جميل الثناء الشكر على ما خص به قارئيه من صالح الدعاء.
- وأسأله عز وجل أن ينفكك به ويتمّ نعمه عليك... " (مج 3 / ج 5 ص 228).
- الجزء 6 من البصائر والذخائر: سلطة المتلقي ومراعاة المخاطب.
- فتح الجزء بالدعاء والسؤال:
- " اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك... "
- "وأسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتي... "
- "اللهم تتابع برك واتصل خيرك ... فاختم ذلك بالرضا والمغفرة... " (مج 3 / ج 6، ص 5).
- الإشارة إلى الجزء:
- "هذا الجزء -أبقاك الله- الجزء السادس في كتاب البصائر والذخائر" (مج 3 / ج 6، ص 6).
- مع الدعاء للمخاطب بالبقاء بالجملة الاعتراضية (دعائية) وهو شكل أساسي من أشكال التعبير عن مراعاة المخاطب الضمني أو المخاطب الصريح (المؤلف له الكتاب).
- وصف المؤلف حال نفسه في التأليف:
- "والله وقع الانتهاء وعليه وقع العزم وعنده بلغ النشاط... " (مج 3 / ج 6 ص 6).
- ونية التوحيدي في تصورها ظاهرة في لفظه في إنهاء الكتاب وختمه عند تمام هذا الجزء السادس والدليل الثاني قوله في ختامه: «هذا آخر الجزء السادس وهو مقطع الكتاب» (مج 3 / ج 6 ص 250)، ولفظ "المقطع" ورد مرة واحدة والراجح أن المعنى "المنتهى" فيكون الجزء هو منتهى الكتاب، ولكن التوحيدي لم يقطع الصلة بالكتاب كما أشار فحدد النشاط والعزم. وهو القطع الذي يقابل الاستئناف في العرف اللغوي.

- تعليل الانتهاء عند الجزء السادس (البلوغ الهدف ونفاد ما في النفس والمبالغة في طول الكتاب) "لأن المراد تم به.
- "وما في النفس سكن معه.
- "مع تحول الحالة وتحول البال" (مج 3 / ج 6 ص 6).
- مراعاة حال الناسخ (الوراق) وسلطة القارئ المتنوع:
- "وذلك لأن الكتاب طال طولا يمل الناسخ..."
- "ويضجر القارئ ويقبض المنبسط (وهو القارئ)..."
- "ويكل النشيط" (أي القارئ النشط).
- "ويفتقر الشهوات (شهوة القارئ).
- "ويقل عزب الحريص" (القارئ الحريص على المطالعة).
- "ويتعب الطالب والراغب" (وكلاهما قارئ الكتاب المفترض / الافتراضي) (مج 3 / ج 6 ص 6)
- الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده:
- حرص التوحيد على تضمين الكتاب أسباب الاجتناب (الاختيار في القارئ) والخوف من الاجتناب، والحرص أيضا على توفير بواعث الطلب وتقبل الخطاب، مع الحذر من سكون اليأس وجدان القارئ.
- والشواهد في أقواله:
- "ويعير ما أردنا أن يكون سببا لاجتنائه سببا لاجتنابه"
- "وما أحببنا أن يكون باعثا على طلابه مؤسسا من وجدانه..." (مج 3 / ج 6 ص 6).
- الجزء 7 (مجلد 4):**
- الدعاء وهو المتواتر.
- الإشارة إلى الجزء وذكر العنوان كاملا (بصائر الحكماء وذخائر الأدباء).
- وصف مادة الجزء من الكتاب بمحاسن الصفات فهو "الوجه الشوق والطرارز المكشوف..."
- بيان الطريقة في العرض هي كما وصفها: (مج 4 / ج 7 ص 5) أسلوب التعقيب:
- التدوين ← مع التبيين.
- الطرح ← مع الشرح.
- التزوير ← مع التقريب.
- التميق ← مع التحقيق.
- وتبيان مصادر مواد الجزء من الكتاب هي: (مج 4 / ج 7 ص 5):
- لسان الدهر (بالتلفظ): (حيث جعل للساخر لسانا ناطقا معبرا) وهو أبلغ.
- اختلاف الليل والنهار بالاتقاط).
- الصغار والكبار (بالأخذ) والوسائل إلى تحصيلها: العين والقلب واللسان.
- رأي قارئ محاور من أهل الشرف (ومراعاة المخاطب):

- قال القارئ: لقد شقيت في جمعه".
- فقال التوحيدي: لو قلت لقد سعدت في جمعه لكان أحلى في عيني "
- قال: إنك جمعت بين الفضل والهزل وبين العلم والجهل "
- قال: التوحيدي معتذرا: أيها السيد الحجاج والفاضل المنّاح من هذا الرأي لما صدرت عنه ولا أثرت عليه... (مج 4/ ج 7 ص 5 ، 6).
- الاستطراد:

لقوله: " نرجع إلى سرنا فقد تباعدنا منه (مج 4/ ج 7 ص 6).

- الالتفات:

- من القارئ المحاور للمؤلف إلى الشخص (المتلقي الخاص) المؤلف له الكتاب ومن المتلقي (من الخطاب) إلى التكلم عن خاتمة الكتاب، فالكلام عن سوء حالة المدعي العاجز ... وترك ذلك كله إلى الدعاء (ص 7).
- النصح والتنبية (بصيغة الأمر والنداء): "تأهب أيها الرجل (المؤلف له الكتاب) لأمرين قسيمين: لعلم يهديك إلى الله، وعمل ينحيك من الله.
- تضمين حكاية من سماعاته.
- الإشارة إلى خاتمة الجزء " بكلام الرسول (ص).
- خاتمة الجزء:

بالإشارة إلى آخر الجزء مع الدعاء بالتأييد للمتلقي الأول لكتابه واستمالاته التوحيدي يخطب ود المتلقي بقوله: " هذا أيدك الله آخر الجزء السابع، وقد اشتمل على ما يخطب لي ودك الشارد ويعيد إلى قلبك النافر، ويبلغني منك في نفسك ما أتمنى لها من خير..." (مج 4/ ج 7 ص 292).

الإخبار بوعد الجزء الثامن:

- النص: " وانتظر الثامن فقد ارتفع جلّه ... " (مج 4/ ج 7 ص 292)
- خاتمة الخاتمة:

النصح والإرشاد (إلى التواضع وبذل الجهد):

« واعلم واحدة ثم اصنع ما شئت: لن تنفع بالعلم ما طلبته بشمخ أنف، وصعر خد و وعزة نفس، لا والله حتى تنفع في التماسه رداء الكبر عن عاتقك، وتستنفذ فيه غاية جهدك ...» (مج 4/ ج 7 ص 292).

الجزء 8:

الفاتحة:

- طلب العون الله والتدلل له والاستعانة به ... (ج 8 ص 5).
- التضرع لله (إلهي من عرفك قادتك ...).
- ظهرت بالقدرة فوجب الاعتراف بك ...
- الإشارة إلى الجزء مع الدعاء للمتلقي الأول بالبقاء وتقصيله:
- " هذا الجزء - أبقاك الله - هو الجزء الثامن كتاب البصائر، بصائر أهل العلم والأدب، والحكمة والتجربة نسأل الله تمام الكتاب..." (مج 4/ ج 8 ص 6).

- الإبانة عن أسلوبه/ مع الدعاء للمتلقي بالتأييد:

"أما ترى - أيدك الله - كيف أتخلص من حديث إلى حديث وأركب معنى على معنى..."

- إقرار العجز من نفسه:

"... عجزا عن إتمام ما أبدأ به، وقلعا إلى ما لا أصل إليه، وليتني لم أناد بنقضي في هذا الكتاب بين الناس..." (مج 4 / ج 8 ص 6).

- شكوى التوحيدي من ظلم القراء:

"فقد والله تمرست بأمر قصاري فيه أن أجهه بالتعنيف، وأواجه باللائمة، وإن جلفت بالقذع وذكرت بالشنآن، ومن لي بحاكم منصف وصديق ملطف..."

- أصناف القراء (أنواع القارئ):

- منهم بعد استقرار مؤلفات التوحيدي: المثقف، والصديق، والعدو، والصاحب، والمداهن، والموافق، والجار، والرفيق، والشامت، ... (مج 4 / ج 8 ص 7).

- القارئ المتكلم/ السامع: (مج 4 / ج 8 ص 7):

يكون القارئ متكلمًا وسامعًا، يقرأ الكتاب كما يكلمه ويسمع منه، وهو محكوم بطبعه ومزاجه وأحواله النفسية كما يتمثله التوحيدي، فالقارئ متنوع متعدد ومتقلب، هو نماذج بشرية والنماذج صور سلوكية، (ذلك بحسب العلاقة مع الكاتب (بتوظيف الجملة الشرطية التلازمية سلبا وإيجابا).

1- إن بعد — رجم.

2- إن دنا —

3- إن تمكن — استأصل

4- إن عاقب — أسرف

5- إن ملك — أباد

6- إن قدر — انتقم وإن انتقم

أتى على الدق والجل
وذهب بالحرث والنسل.

- ما أضرَّ بالتوحيدي:

"ولكن أضر بي ما أرى من فساد الزمان، واضطراب الوقت، وانتكاث مرائد الدين، وتصوّح رياض الدنيا، ودرّوس أعلام التوحيد، وانقراض أهل العلم، وتحاسد أبناء الفضل، وتتابذ ذوي الآداب، وتداعي رباع الجميل..." إلخ (مج 4 / ج 8 ص 7).

- شدة التواضع في قالب الاعتزاز أمام القارئ:

"ليس هذا الفصل من كلامي ومن لي بهذه الديباجة الخسروانية وبهذه الحكمة الروحانية، قدرتي، مخفض عن هذا وما ضارعه..."

والإشارة هنا إلى فقرات سابقة طالت في ثنايا المقدمة. (مج 4 / ج 8 ص 6).

- عز الكلام إلى أصحابه تواضعا وصدقا ووفاء:

في الإشارة السابقة يترك الادعاء لنفسهما ليس له يذكر معقبا صاحب الفصل الكلامي بالاسم، في قوله: "... لكنني وجدته منسوباً إلى الحسين من سهل ولعله أخو ذي الرياستين فرسمته في هذا الكتاب حتى كأني ناهيت وناقست وأدعيت الكمال وأشرت إلى العصمة"

- الشكوى من اختلاف كلام النقاد المعاتبين من قارئيه⁽¹¹⁾:

* يقول بعد الرجاء أن يكون اختلاف كلام المعاتبين صادرا عن صدور تقنية "... فقد والله أتعبوني وأكلوني، وشربوني، فمن قائل: ما أحسن هذا الكتاب لو لا ما حواه من السخف والقاذورة، وذكر الهنات وألفاظ السفلة، وقال آخر: كل ما فيه حسن لو خلا من اللغة والنحو فليس هذا الموضع موضعهما، وقال آخر: قد عذرتك في حصير أبوابه هلا صنفت فنونه فكان الجد لا يمتزج بالهزل..." (مج 4 / ج 8 ص 9).

- ويواصل القول المطول في استقصاء الأحكام النقدية (الاحتمية):

"... ومن قائل: جميع ما فيه أحسن من كلامك، ومن قائل ما مزية هذا الكتاب على جميع ما تقدم من الكتب، وهل فيه فن إلا وهو مقتضى في معدنه" (مج 4 / ج 8 ص 9).

- سوق الشعر على سبيل التمثيل: (البندار بن غانم الحلواني / يرد على منافس حاسد):

"يختار عمرو عداوتي سفها

وأبتغي سلمه ويمتع

كله إلى بغية سيصرعه

فالدهر بيني وبينه جذع".

- الرد على خصومه بأقوال العلماء:

مثال سرد حقيقة (حكاية) السرخسي: أحمد بن الطيب "وقوله في مسألة السائل التي تدور بحالها، ما لم يكن المقوم منصفاً، وسليم الطبع غير حسود، وتضمنين صاحب الحقيقة قول علي بن أبي طالب (رض): "قيمة كل امرئ ما يحسن" (مج 4 / ج 8 ص 10).

- ترك القصة والعودة إلى عادته في كتابه:

"هذا آخر كلام أحمد ولنا به أسوة، ومن جملة ما قاله عذر، ونعود إلى العادة في نشر البصائر غير مكترئين لما يقال، ولا عابئين لما يتكلف، فإن من أعار الناس آذانه حشوها شرا، وأوسعوها غيضا..." وختم المقدمة بالادعاء للمتلقي.

غير أن الجزء الثامن على غير العادة قد خلا من كل تعليق أو استعارة أو تنبيه.

* تكرار الاعتذار والتماس قبول العذر:

يلح التوحيدي على الاعتذار وتكراره مراعاة للمخاطب وخضوعا لسلطة المتلقي - سامعا أو قارئاً - من ذلك شواهد فواتح مؤلفاته وخواتمها مثل الذي ورد في كتاب "الصدقة والصديقة".

- تكرار الاعتذار:

النص: "قد تكرر اعتذاري من طول هذه الرسالة، هذا وكان ظني أولها أن تكون لطيفة خفيفة..."⁽¹²⁾.

- التماس قبول العذر:

النص: "فاقبل - حاطك الله- هذا العذر الذي قد بدأت وأعدته ونشرته وطويته..."⁽¹³⁾.

- التأكيد على سوء الحال وقت التأليف:

النص: "على أنك لو علمت في أي وقت ارتفعت هذه الرسالة، وعلى أي حال تمت لتعجبت وما كان يقل في عينك منها يكثر في نفسك..."⁽¹⁴⁾.

- سؤال حسن الخاتمة من الله والاستعانة به:

يختم التوحيدي خاتمة الكتاب بالسؤال والاستعانة من الله وبه.

النص: "والله أسأل خاتمة مقرونة بغنيم وعاقبة مقضية إلى كرامة فقد بلغت شمسي رأس الحائط والله أستعين على كل ما هم النفس ووزع الفكر..."⁽¹⁵⁾.

وعبر بالكناية عن تقدم العمر به (آخر العمر) في قوله "بلغت شمسي رأس الحائط" والشاهد ما كره في الفصل الأول من الكتاب وهو في وصف حال نفسه.

النص: "ومن العجب والبديع أنا كتبنا هذه الحروف على ما في النفس من الحرق والأسف، والحسرة، والغيط، والكمد، والومد (شدة الغضب)، وكأني بغيرك إذا قرأها تقبضت نفسه عنه، وأمرس نقده عليها وأنكر علي التطويل والتهويل..."⁽¹⁶⁾.

- الخوف من المتلقي الغائب لجهله لحال المؤلف:

النص: "وإنما أشرت بهذا إلى غيرك لأنك تبسط من العذر ما لا وجود به سواك، وذلك لعلمك بحالي وإطلاعك على داخليتي..."⁽¹⁷⁾.

ومن اللافت للنظر هنا أن العلم بأحوال الكاتب ضرورة منهجية لأنه بعض العلم بأفكار نصه، دون أن يفقد القارئ سلطته في الفهم والتأويل والتأثر والاستجابة.

على أن الأصول الفلسفية لما بعد البنوية تحررية لبرالية -ومنها نظرية التلقي - تدعو إلى قتل الإله لاستباحة المقدس، وموت المؤلف بتفكيك عقله وروحه وعزله عن مجتمعه وتراثه لنقل السلطة المطلقة إلى القارئ، كما تدعو إلى قتل النص بقطع رحمه وإفراغه من محتواه بجعل المعنى في بطن القارئ بعدما ظل زمنا طويلا في بطن صاحبه . لكأني بالغاية المضمرة من هذه الأسس هي "إبادة الإنسان"

- تصوير حال نفسه بين الناس:

النص: "لأنني فقدت كل مؤنس، وصاحب، ومرفق ومشفق، والله لريما صليت في الجامع فلا أرى إلى جنبي من يصلي معي، فإن تقف فبقال أو عصّار، أو نداف، أو قصاب، ومن إذا وقف إلى جانبي أسدر في بصنانه وأسكرني بنتنه..."⁽¹⁸⁾.

- حالة الغربة:

النص: "فقد أمسيت غريب الحال، غريب اللفظ، غريب النحلة، غريب الخلق..."⁽¹⁹⁾.

- الكناية عن آخر العمر:

النص: "فشمس العمر على شفا، وماء الحياة إلى نضوب، ونجم العيش إلى أفول، وظل التلبث إلى قلوص..."⁽²⁰⁾.

- العدول عن التصريح إلى الكناية:

كنى عن بلوغه من الكبر عتياً بعبارتين والمعنى واحد في آخر الكتاب وفي أوله:

"بلغت شمسي رأس الحائط" (الصدقة/ ص 478)

"فشمس العمر على شفا" (الصدقة/ ص 33).

- الكتابة الأولى والثانية ليتقي شرّ القارئ:

- الكتابة الأولى: المسودة في سنة 371 هـ. (الصدقة/ ص 34).

- الكتابة الثانية المبيضة في سنة 400 هـ. (الصدقة/ ص 34).

- الصدور عن فرضية مسلمة:

يصدر التوحيدي عن فرضية وقد سلم بصحتها في أول سطر من الكتاب بقوله: "وقبل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق ولا من يتشبه بالصديق⁽²¹⁾. ذلك الذي صح عنده بالمشاهدة والمعينة، وقد يكون الأمر كذلك إلى أيامنا.

خاتمة

هذا أبو حيان التوحيدي، وذاك أسلوبه في أدبه باعتبار المخاطب، وهو الاعتبار المقدم على سائر الاعتبارات خاصة الخطاب وصاحبه- وهو المتلقي المباشر الواقعي، وغبر المباشر الافتراضي- ونحسب أننا وفيما بعض حقه فيما وعدنا في فاتحة المقال، وقد تبين لنا بوضوح من خلال استقراء الشواهد النصية - لا المراجع- أن التوحيدي مسكون بالمتلقي يحضر في ذهنه ويهيمن عليه كما يدفع به نحو التحسين والتجويد والرفعة، فضلاً عن أحواله النفسية التي تلقي بظلالها على أدبه ومنتقيه على السواء. ونأمل عند هذا الحد أن نكون قد فتحنا أبواباً ونوافذ في موضوع نحسبه جديراً بالعناية في الماجستير والدكتوراه،

الهوامش:

- 1- للتوسع: جون سيرل، القصيدة (بحث في فلسفة العقل)، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان، 2009، 25 وما بعدها وهذا نصه: «قد يعد من الأفضل قصد استخدام مصطلح "المضمون اللغوي" (القصيدة) على تلك الحالات التي يتحقق لغوياً فقط، واستخدام مصطلح المضمون التمثيلي أو المضمون القصدي، كمصطلحين أكثر عمومية حتى يضمنا كلا من الحالات القصيدة المتحققة لغوياً... وتلك التي لا تتحقق باللغة...» (م، ن، ص: 27).
- 2- لكننا نرى سلطة رابعة تلقي بظلالها على جميع السلطات: تلك هي سلطة اللغة!
- 3- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون (1-4)، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2010م. ص: 112، 113.
- 4- ابن طباطبا (322هـ)، عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005/1426هـ، ص 128.
- 5- السكاكي (ت 626هـ)، مفتاح العلوم، تصحيح وتعلي: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م / 1407هـ، ص 81.
- 6- أحمد السيد الهاشمي، (ت 1943م)، جواهر البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت ط1- 1999م. ص 57.

- 7- ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ)، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: عبد الحق بن ملا التركماني، دراسة وتقديم: أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري، مركز البحوث الإسلامية في السويد، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1428/2007 هـ، ص 619.
- 8- المرجع نفسه، ص 619.
- 9- المرجع نفسه، ص 619.
- 10- ابن حزم، المرجع السابق، ص 619، 620.
- 11- "سلك التوحيدى - كما ثبت لنا بالبحث والتمحيص - مسلك الجاحظ في مقدمات كتبه، لكثرة نقاده وحساده، في الأخذ والرد والتعقيب والتمهيد والمحاورة والمجادلة وكل ذلك فاق به أهل زمانه وأقرانه في صناعة الأدب النثري الفني وقد اصطبغ بصبغة فلسفية وكلامية...".
- 12- التوحيدى، الصداقة والصديق، دراسة وتحقيق: الشرييني شريدة، دار الحديث، القاهرة، 1428/2007 هـ، ص 478 (آخر الكتاب/الخاتمة).
- 13- المرجع نفسه. ص: 478
- 14- المرجع نفسه. ص: 478.
- 15- نفسه، ص 478.
- 16- نفسه، ص 32.
- 17- نفسه، ص 32
- 18- نفسه، ص 32.
- 19- نفسه، ص 32.
- 20- السابق، ص 33.
- 21- نفسه، ص 35.